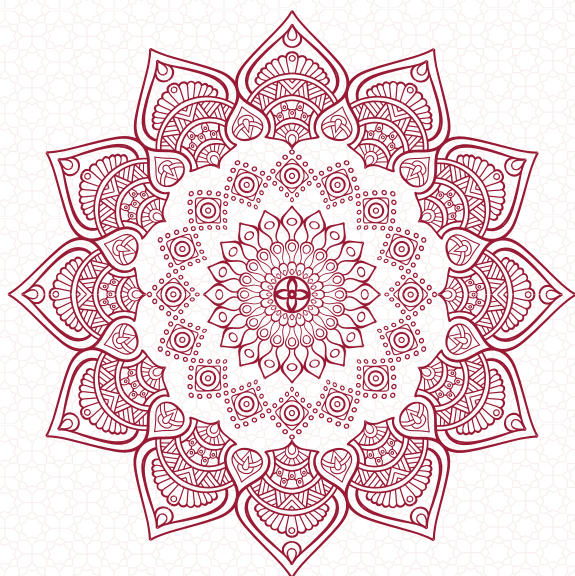


شرح الآجرومية

فضيلة الشيخ:

أ.د. أحمد بن حمد الونيس



شرح الأجرومية

برنامج دليل ١٤٤٨هـ

الدرس الأول

إن الحمد لله . . أما بعد:

فأقدم بين يدي هذا الشرح بأربع مقدمات:

المقدمة الأولى: في أهمية علم النحو:

لقد كان العرب في الجزيرة قبل الإسلام يتكلمون العربية بسليقتهم، وكانت لغتهم عربية فصيحةً سالمةً من اللحن، وبقيت كذلك حتى بُعث النبي ﷺ، ودعا الناس إلى الإسلام، ثم انتشر هذا الدين في البلدان، بعد الفتوحات الإسلامية، فدخل الناس في دين الله أفواجا، وممن دخل في الإسلام كثير من المسلمين من بلاد الأعاجم، فأثر اختلاطهم بالمسلمين من عرب الجزيرة في لغتهم العربية، وتسربَّ اللحن إلى لغة العرب، وقيل: إن أول لحن وقع، قول أحدهم: هذه عصاتي. والصواب: هذه عصاي.

ومن الوقائع التي يذكرها العلماء في بدء وقوع اللحن:

قال رجل لأعرابي: كيف أهلك بكسر اللام؟ - يريد كيف أهلك - فقال الأعرابي: صَلَبًا؛ ظنَّ أنه سأله عن هلكته كيف تكون^(١).

وسمع أعرابي مؤذناً يقول: أشهد أن محمداً رسول الله. بنصب رسول، فقال: ويحك! يفعل ماذا؟^(١).

ودخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون، فقال: سبحان الله! يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحن ولا نربح!^(٢).

ووقف أعرابي على رجل وهو يعلم آخر القرآن، وهو يقول: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣] قال: فقال له الأعرابي: والله ما أنزل الله هذا على نبيه محمد ﷺ، قال: فوثب إليه الرجل فلبب الأعرابي ثم قال: بيني وبينك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. قال: فذهب به إلى عمر فقال له: يا أمير المؤمنين إني كنت أعلم رجلاً فسمعني هذا وأنا أقول: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ قال: فقال: والله ما أنزل الله هذا على محمد. فقال عمر: صدق الأعرابي، إنما هي و (رسوله)^(٣).

لأنه إذا قرئت بالكسر (ورسوله) يكون المعنى أن الله بريء من المشركين، وبريء من رسوله، وهذا معنى باطل، وإذا قرئت على الصواب بالضم (ورسوله) على أنه مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير: ورسوله بريء منهم.

فاحتيج حينئذ إلى وضع قواعد للغة العربية تضبط اللسان العربي.

ومما ورد من الآثار في فضل العربية:

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «تعلموا العربية في القرآن كما تتعلمون حفظه» رواه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء رقم ٢٣.

(١) عيون الأخبار ١٧٣/٢.

(٢) عيون الأخبار ١٧٤/٢.

(٣) رواه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٣٧/١.

وروى ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء برقم ٩، عن مورق العجلي قال: «كتب عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن تعلموا الفرائض والسنة واللحن كما تعلمون القرآن».

قال أبو بكر: وحدث يزيد بن هارون بهذا الحديث فقليل له: ما اللحن؟ فقال: النحو.

وقال ابن الأنباري في الأضداد ص ٢٣٨: (واللَّحْنُ حرف من الأضداد؛ يقال للخطأ لَحْنٌ، وللصواب لحن) ثم روى هذا الأثر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص ٢٣٩، ثم قال بعده: (فيجوز أن يكون اللَّحْنُ الصَّوَابُ؛ ويجوز أن يكون الخطأ، يعرف فَيَتَجَنَّبُ).

وعقد الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى باباً في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب الجامع ٢ / ٢٤، وذكر فيه جملة من الآثار في فضل العربية.

منها قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة» رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي برقم ١٠٦٧.

وبوب الإمام البخاري في كتاب الأدب المفرد ١ / ٤٧٤: باب الضرب على اللحن.

وروى فيه عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَضْرِبُ وَلَدَهُ عَلَى اللَّحْنِ. قال الألباني: صحيح الإسناد.

وروى الخطيب في الجامع عن علي وابن عمر وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنهم كانوا يضربون أولادهم على اللحن^(١).

(١) الجامع للخطيب برقم ١٠٨١، ١٠٨٤.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٣٢ / ٢٥٢: (ومعلوم أن تعلم العربية؛ وتعليم العربية فرض على الكفاية؛ وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي؛ ونصلح الألسن المائلة عنه؛ فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة؛ والافتداء بالعرب في خطابها. فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصا وعبا).

وقال الشَّعْبِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: «النَّحْوُ فِي الْعِلْمِ كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ»^(١).

وقال ابن قتيبة في عيون الأخبار^(٢): وقال بعض الشعراء:

النحو يسطُّ من لسانِ الأَلَكَنِ والمرءُ تُكْرِمُهُ إذا لم يَلْحَنِ
وإذا طلبتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَأَجَلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ

وهذا مُتَعَقِّبٌ بأنَّ أَجَلَ الْعُلُومِ عِلْمُ التَّوْحِيدِ، لكن يمكن حمل الجلالة هنا بالنسبة إلى علوم الآلة، والله أعلم^(٣).

وقال ابن كثير في تفسيره ٤ / ٣٦٥ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٤) في سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَام: (وَذَلِكَ لِأَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ وَأَبْيَنُهَا وَأَوْسَعُهَا، وَأَكْثَرُهَا تَأْدِيَةً لِلْمَعَانِي الَّتِي تَقُومُ بِالنَّفُوسِ؛ فَلِهَذَا أُنْزِلَ أَشْرَفُ الْكُتُبِ بِأَشْرَفِ اللُّغَاتِ، عَلَى أَشْرَفِ الرُّسُلِ، بِسِفَارَةِ أَشْرَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَشْرَفِ بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَابْتَدَى أَنْزَالُهُ فِي أَشْرَفِ شُهُورِ

(١) الجامع للخطيب ٢ / ٢٨.

(٢) ٢ / ١٧٢، ورواه الخطيب في الجامع عن المبرد برقم (١٠٧٨).

(٣) ينظر: حلية طالب العلم لبكر ص ٢٠١.

السَّنةَ وَهُوَ رَمَضَانُ، فَكَمُلَ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٥٢٧:
(واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر
أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل
والدين والخلق).

وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم
الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا
به فهو واجب.

ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية).

وعقد ابن خلدون في المقدمة ١/ ٧٥٣ فصلاً في علوم اللسان العربي،
فقال: (أركانه أربعة: وهي اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية
على أهل الشريعة؛ إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي
بلغت العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من
لغاتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة...
والذي يتحصّل أن الأهمّ المقدّم منها هو النحو...).

ثم فصل ابن خلدون الكلام في هذه العلوم الأربعة.

ومما يدل على أهمية اللغة العربية أنه يشترط في المجتهد أن يعرف من
النحو واللغة ما يكفي في معرفة ما يتعلق بالكتاب والسنة.

المقدمة الثانية: مبادئ علم النحو^(١):

قال الناظم:

إِنَّ مَبَادِي كُلِّ فَنٍّ عَشْرُهُ الْحَدُّ وَالْمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَةُ
وَفَضْلُهُ وَنَسْبُهُ وَالْوَاضِعُ وَالِاسْمُ الْاسْتِمْدَادُ حَكْمُ الشَّارِعِ
مَسَائِلُ وَالْبَعْضُ بِالْبَعْضِ اكْتَفَى وَمَنْ دَرَى الْجَمِيعَ حَازَ الشَّرْفَا
حَدُّهُ: النحو يطلق في اللغة على معان، منها: الجهة، والشَّبه والمِثْل.
تقول: ذهبت نحو فلان. أي جهته. وتقول: محمدٌ نحو عليٍّ. أي شبهه
ومثله.

وفي اصطلاح النحاة: عِلْمٌ بِأَصُولٍ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ أَوَاخِرِ
الْكَلِمِ إِعْرَابًا وَبِنَاءً.

وموضوعه: الكلمات العربية، من جهة البحث عن أحوالها المذكورة.
وثمرته: صيانة اللسان عن الخطأ في الكلام العربي، وفهم كلام الله تعالى،
وكلام رسوله ﷺ، وكلام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكلام أهل العلم.
وفضله: تقدم ذكر شيء من فضل علم النحو.

ونسبته: هو من العلوم العربية.

وواضعه: المشهور أن أول واضع لعلم النحو هو أبو الأسود الدؤلي بأمر
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويروى أن أبا الأسود الدؤلي قالت له ابنته: ما أحسنُ السماء؟، فقال لها:

(١) ينظر: النبذة النحوية ص ٣، والتحفة السنية ص ٤.

نجومها. فقالت: إني لم أُرِدْ هذا، وإنما تعجبت من حسنها، فقال لها: إذن فقلولي: ما أحسن السماء!، فحينئذ وضع علم النحو^(١).

واسمه: علم النحو، ويروى أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لأبي الأسود الدؤلي: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت. فلذلك سمي النحو نحواً^(٢).
ويُسَمَّى أيضاً: علم الإعراب، وعلم قواعد الإعراب.

واستمداده: يستمد علم النحو مادته من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكلام العرب.

حكم الشارع فيه: تعلمه فرض كفاية، إذا قام به في الأمة من يكفي سقط الإثم عن الباقي، وقد يتعين تعلمه على واحد من الناس فيكون فرض عين.

قال ابن فارس في الصحابي في فقه اللغة ص ٣٥: (إن علم اللغة كالواجب على أهل العلم، لئلاَّ يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستواء، وكذلك الحاجة إلى علم العربية، فإن الإعراب هو الفارق بين المعاني ... وَقَدْ كَانَ الناس قديماً يجتنبون اللحن فيما يكتبونه أو يقرؤونه اجتنابهم بعض الذنوب).

يشير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في آخر كلامه إلى ما رُوي عن أيوب السخيتاني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أنه لحن في حرف، فقال: أستغفر الله^(٣).

وتقدم قول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم

(١) ينظر: الصعقة الغضبية ص ٢٣٠.

(٢) ينظر: نزهة الألباء ص ١٨، ١٩.

(٣) رواه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٣٣.

اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية).

وقال الطوفي في الصعقة الغضبية على منكري العربية ص ٢٣٧: (والإجماع منعقد على أن من لم يُحصّل صناعة الإعراب وعِلْمَ العربية لا يُذم شرعاً، ولا يُتوعد بالعقاب؛ لأننا نقول: نحن نعني بوجوبه: الوجوب الخاص على من أراد الفتيا والقضاء، وأنه فرض كفاية كسائر فروض الكفايات).

مسائله: كثيرة جداً، فكل ما سيأتي معنا في هذا المتن فهو من مسائل علم النحو، كأقسام الكلام، وكون الفاعل يُرفع، والمفعول يُنصب، والمبتدأ مرفوعٌ، وهكذا.

المقدمة الثالثة: التعريف بالمؤلف^(١):

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، المشهور بابن أجروم، بفتح الهمزة الممدودة، وضم الجيم والراء المشددة، ومعناها بلغة البربر: الفقير الصوفي. المولود بمدينة فاس ببلاد المغرب سنة ٦٧٢ هـ^(٢)، والمتوفى بها، سنة ٧٢٣ هـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وله إحدى وخمسون سنة.

والصنهاجي نسبة إلى قبيلة صنهاجة بالمغرب، وقيل: نسبة إلى بلدة صنهاجة المغربية.

قال السيوطي: (صاحب المُقَدِّمَةِ المَشْهُورَةِ بالجَرُّومِيَّةِ، وَصَفَهُ شَرَّاحُ مَقْدَمَتِهِ كَالْمَكُودِيِّ وَالرَّاعِي وَغَيْرُهُمَا بِالْإِمَامَةِ فِي النَّحْوِ، وَالْبُرْكَه وَالصَّلَاحِ، وَيَشْهَدُ بِصَلَاحِهِ عُمُومُ نَفْعِ الْمُبْتَدِئِينَ بِمَقْدَمَتِهِ).

(١) ينظر: بغية الوعاة ١/ ٢٣٨، وشذرات الذهب ٨/ ١١٢، والأعلام ٧/ ٣٣.

(٢) وهي السنة التي توفي فيها ابن مالك صاحب الألفية في النحو والصرف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

من مؤلفاته:

فرائد المعاني في شرح حرز الأمان، وهو شرح على الشاطبية، طبع محققاً.
ونظم سماه: الاستدراك على هداية المرتاب، طبع محققاً.
ومنظومة في قراءة الإمام نافع، سماها: البارع، طبع محققاً.

المقدمة الرابعة: التعريف بالمتن:

اسمها: الأجرُومية، أو: المقدمة الآجرُوميَّة، أو: الجُرُوميَّة.

هذه المقدمة في النحو لابن آجرُوم **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى** من أشهر المؤلفات في النحو للمبتدئين، انتشرت انتشاراً واسعاً في الأمصار، واعتنى بها العلماء عناية كبيرة، فشرحوها بشروح كثيرة، جاوزت المائة شرح، ووضعوا على بعض هذه الشروح الحواشي، ونظمها غير واحد، وشرحت هذه المنظومات.

وهذه المقدمة متن منشور مختصر في علم النحو، مناسب للمبتدئين في طلب العلم، واضح العبارة، سهلٌ للحفظ.

وهذا المتن يدور على أربعة محاور^(١):

١- الكلام وما يتألف منه، (الاسم، والفعل، والحرف).

٢- الإعراب، وأنواعه، وعلاماته.

٣- الأفعال، (الماضي، والمضارع، والأمر).

٤- الأسماء، (المرفوعات، والمنصوبات، والمخفوضات).

(١) ينظر: مقدمة شرح المكودي ص ١٨.

شرح الأجرومية:

شُرحت الأجرومية بشرح كثيرة، منها:

١- الدرة النحوية في شرح الجرومية، لأبي عبد الله الشريف التلمساني (ت: ٧٧١هـ) قال في المقدمة: (وضعها - يعني ابن أجروم - رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى

برسم ولده أبي محمد، فانتفع بها، وانتفع بها جميع من قرأها).

٢- شرح المقدمة الأجرومية، لأبي زيد عبد الرحمن المكوذي (ت: ٨٠٧هـ)، المولود بفاس، من بلاد المغرب، وهو شرح موجز، سهل العبارة، وهذا الشرح من مقررات معهد الحرم المكي الشريف.

٣- شرح الأجرومية لخالد الأزهري (ت: ٩٠٥هـ)، وهو شرح متوسط، مزج فيه الشرح بالمتن، وقد اعتنى علماء النحو بهذا الشرح، فوضع عليه ما يزيد على ثلاثين حاشية.

٤- الرملية في شرح الأجرومية، لشهاب الدين أحمد الرملي، (ت: ٩٥٧هـ).

٥- شرح الأجرومية لإبراهيم اللقاني (ت: ١٠٤١هـ)، محقق في رسالة دكتوراه.

٦- شرح الشيخ ابن عثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى.

٧- شرحها شيخنا د. حسن بن محمد الحفظي في الأقوال الوفية في شرح الأجرومية، واعتنى في هذا الشرح بالاستشهاد بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وزاد أبواباً أخرى على الأجرومية.

وأعربها جماعة من العلماء:

١- إعراب الآجرومية، المسمى: بشرى طلاب العربية بإعراب الآجرومية،
لخالد الأزهرى، أعرب فيه متن الآجرومية.

٢- الباكورة الجنية من قطاف إعراب الآجرومية. لمحمد أمين بن عبد الله
الأثيوبي الهرري. (ت: ١٤٤١هـ)

وشرحها بعضهم على صيغة سؤال وجواب:

١- الشيخ إسماعيل الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في: النبذة النحوية في أسئلة
الآجرومية.

٢- عبد القادر البسكري في: الآجرومية على طريقة السؤال والجواب، مع
الإعراب.

ونظمها جمع من أهل العلم:

١- الدرة البهية في نظم الآجرومية، لشرف الدين يحيى العمريطي، (ت:
بعد ٩٨٠هـ)، وعدد أبياتها: ٢٥٤ بيتاً، ولها عدة شروح، منها شرح إبراهيم
البيجوري، (ت: ١٢٧٧هـ)، بعنوان: فتح رب البرية على الدرة البهية نظم
الآجرومية.

قال العمريطي في مقدمة نظمه:

نَظَّمْتُهَا نَظْمًا بَدِيعًا مُقْتَدِي	بِالْأَصْلِ فِي تَقْرِيهِ لِلْمُبْتَدِي
وَقَدْ حَذَفْتُ مِنْهُ مَا عَنْهُ غِنَى	وَزِدْتُهِ فَوَائِدًا بِهَا غِنَى
مُتَمِّمًا لِغَالِبِ الْأَبْوَابِ	فَجَاءَ مِثْلَ الشَّرْحِ لِلْكِتَابِ

٢- نظم عُبيد رَبِّه، وهو أبو عبد الله محمد بن أْب التَّوَاتِيّ المزمري، من علماء الجزائر، (ت: ١١٦٠هـ)، وعمره ٦٦ سنة، وعدد أبيات هذه المنظومة ١٥٤ بيتًا.

وُشِّرت هذه المنظومة بعدة شروح.

ولشمس الدين الرُّعيني المالكي، الشهير بالحطَّاب (ت: ٩٥٤هـ) مُتَمِّمة الأجرومية، تَمَّمَ فيها مباحثها، ثم شرحها المؤلف نفسه في الكواكب الدُّرِّيَّة في شرح متممة الأجرومية.

وشرح متممة الأجرومية عبدُ الله بن أحمد الفاكهي المكي (ت: ٩٧٢هـ)، وسمَّاه: الفواكه الجَنِيَّة على متممة الجرومية، دمج فيه متن المتممة مع شرحه لها، وكأنه كتاب واحد، وطُبِع الكتاب محققًا.

ومن شروحها: الكواكب الدرية على متممة الأجرومية، لمحمد بن أحمد الأهدل، من أعيان القرن الثالث عشر.



قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الباء حرف جر مبني على الكسر، لا محل له من الإعراب، و «اسم» مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف، يُقدَّر بفعل متأخر مناسب للمقام، فيكون التقدير هنا: بسم الله أكتبُ، أو: بسم الله أوَّلُف.

واسم: مضاف، ولفظ الجلالة «الله» مضاف إليه، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

والرحمن: صفة أولى للفظ الجلالة. والرحيم: صفة ثانية.

(الكلام: هو اللفظ المركَّب المفيد بالوضع)

أي الكلام في اصطلاح النحويين، هو ما اجتمع فيه أربعة أمور: الأول: أن يكون لفظاً، أي أن يكون صوتاً مشتملاً على بعض الحروف الهجائية، التي أولها الألف وآخرها الياء.

مثاله: كلمة: «محمد»، و كلمة: «يكتب»، كل منهما عند النطق بها تكون صوتاً مشتملاً على أربعة أحرف هجائية.

وخرج بذلك الإشارة، فلا تسمى كلاماً عند النحويين؛ لعدم كونها صوتاً مشتملاً على بعض الحروف، وإن كانت تسمى كلاماً عند اللغويين؛ لحصول الفائدة بها، فلو قال لك قائل: هل أحضرت الكتاب الذي طلبته منك؟ فأشرت إليه برأسك من فوق إلى أسفل، فهو يفهم أنك تقول: نعم. فهذا كلام لغة، لا في اصطلاح النحويين.

الثاني: أن يكون مركباً، أي تركيباً إسنادياً^(١) لا إضافياً، فيكون مركباً من كلمتين أو أكثر، نحو: محمدٌ مسافرٌ - العلمُ نافعٌ - نجح الطالبُ في الاختبار. فكل عبارة من هذه العبارات تسمى كلاماً، وكل عبارة منها مؤلفة من كلمتين أو أكثر، فالكلمة الواحدة لا تسمى كلاماً عند النحويين، إلا إذا انضم إليها غيرها، سواء أكان انضمام غيرها إليها حقيقياً كالأمثلة السابقة، أم تقديرًا، كما إذا قال لك قائل: مَنْ أخوك؟ فتقول: خالدٌ. فكلمة «خالد» كلمة واحدة، وتعد كلاماً؛ لأن التقدير: خالدٌ أخي. فهي في التقدير عبارة مؤلفة من ثلاث كلمات، خالد، وأخ، والياء، وهي ضمير المتكلم.

وكذلك: قُمْ. التقدير: قُمْ أنتَ. لأن الضمير المستتر في قوة البارز، فتكون كلمة «قم» كلاماً عند النحويين.

الثالث: أن يكون مفيداً: أي يحسن سكوت المتكلم عليه، بحيث لا يبقى السامع منتظراً لشيء آخر، ولا يشترط أن تكون الفائدة جديدة، فلو قلت: «إذا حضر الأستاذ». فلا يسمى كلاماً؛ لأنه غير مفيد، ولو أنه لفظ مركب من ثلاث كلمات، لأن هذا الكلام لا يحسن سكوت المتكلم عليه، بل ينتظر السامع ما تقوله بعد هذا مما يترتب عليه حضور محمد، فإذا قلت: إذا حضر الأستاذ أنصتَ التلاميذُ. صار كلاماً؛ لحصول الفائدة حينئذٍ.

الرابع: أن يكون موضوعاً بالوضع العربي، أي أن تكون الألفاظ المستعملة في الكلام من الألفاظ التي وضعتها العرب للدلالة على معنى من المعاني، فقولك: «حضر» كلمة وضعتها العرب لمعنى، وهو حصول الحضور في الزمان الماضي، وقولك: «محمد» كلمة وضعتها العرب لمعنى، وهو ذات

(١) المراد بالإسناد: أن تنسب إلى الكلمة ما تحصل به الفائدة. بخلاف التركيب الإضافي كحضر موت، وبعلبك.

الشخص المسمى بهذا الاسم، فإذا قلت: حضر محمدٌ. تكون قد استعملت كلمتين كل منهما مما وضعه العرب، بخلاف ما إذا تكلمت بكلام مما وضعته العجم، كالفرس، والترك والبربر والفرنجة، فإنه لا يسمى كلاماً في عرف علماء العربية، وإن سماه أهل اللغة الأخرى كلاماً.

وبعضهم يرى أن المراد بالوضع: القصد، يعني أن يقصد المتكلم إفهام السامع.

أمثلة للكلام المستوفي الشروط الأربعة المتقدمة:

لا إله إلا الله - محمد رسول الله - السماء صافية - يذهب صالح إلى المسجد.

(وأقسامه ثلاثة: إسمٌ، وفعلٌ، وحرفٌ جاء لمعنى)

أي أقسام الكلام ثلاثة:

اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى.

وذلك أن الألفاظ التي كانت العرب تستعملها في كلامها، لا تخلو أن تكون واحداً من هذه الثلاثة: الاسم، والفعل، والحرف.

الاسم في اللغة: ما دلَّ على مُسمَّى، وفي اصطلاح النحويين: هو الكلمة التي تدل على معنى في نفسها، ولم تقترن بزمان. نحو: محمد، وزيد، وأسد، وتفاحة، ونحو ذلك، فكل واحد من هذه الألفاظ يدل على معنى في نفسه، ولا يقترن بزمان، لا ماض ولا حاضر ولا مستقبل، فيكون اسماً.

والفعل في اللغة: الحَدَثُ، وفي اصطلاح النحويين: هو الكلمة التي دلَّت على معنى في نفسها، واقرنت بأحد الأزمنة الثلاثة، وهي الماضي، والحاضر، والمستقبل.

ومن أمثلة الفعل:

كَتَبَ: فهو كلمة دلت على معنى في نفسها، وهو الكتابة، واقترن هذا المعنى بالزمان الماضي.

يَذْهَبُ: كلمة دلت على معنى في نفسها، وهو الذهاب، واقترن هذا المعنى بالزمان الحاضر.

قُمَ: كلمة دلت على معنى في نفسها، وهو القيام، واقترن هذا المعنى بالزمان المستقبل، الذي بعد زمان التكلم.

والفعل على ثلاثة أنواع: ماضٍ ومُضَارِعٌ وأَمْرٌ.

فالماضي: ما دَلَّ على حَدَثٍ وَقَعَ فِي الزَّمَانِ الذي قبل زمان التكلم. نحو كَتَبَ، وَقَالَ، وَأَبْصَرَ، وَاَنْتَصَرَ، واستغاث.

والمضارع: مَا دَلَّ عَلَى حَدَثٍ يَقَعُ فِي زَمَانِ التَّكَلُّمِ أو بعده. نحو يَكْتُبُ، وَيَقُولُ، وَيُصِرُّ، وَيَنْتَصِرُ، وَيَسْتَغِيثُ.

والفعل المضارع - إن لم يسبق به لم ولا بحرف استقبال - فهو يدل على الحال أو الاستقبال، فإن اقترن به لم فإنه يدل على الماضي، نحو: لم يذهب زيد إلى البيت. وإن اقترن بحرف استقبال كالسين أو سوف فإنه يدل على الاستقبال، نحو: سيذهب زيد إلى المسجد. أو سوف يذهب محمد إلى المدرسة.

وَالْأَمْرُ: مَا دَلَّ عَلَى حَدَثٍ يُطَلَّبُ حُصُولُهُ بعد زمان التكلم. نحو اَكْتُبْ، وَقُلْ، وَأَبْصِرْ، وَاَنْتَصِرْ، وَاَسْتَغِثْ.

والحرف في اللغة: الطَّرْفُ، وفي اصطلاح النُّحَاة: هو الكلمة التي دَلَّتْ عَلَى مَعْنَى في غيرها. فالحرف يتضمن معنى فيما يدخل عليه، ولا معنى له في

نفسه. نحو: «مِنْ»، فَإِنَّ هذا اللفظ كلمة دَلَّتْ على معنى - وهو الابتداء - وهذا المعنى لا يَتَمُّ حَتَّى تَضُمَّ إلى هذه الكلمة غيرَهَا، فتقول مثلاً: ذَهَبْتُ مِنَ الْبَيْتِ. ومن أمثلة الحرف: إلى، عن، على، إلَّا، لَكِنْ، أَنْ، سوف، حَتَّى. وقول المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: (وحرف جاء لمعنى) احتراز من حروف المباني، والتي هي حروف الهجاء.

(فالاِسْمُ يُعْرَفُ بِالْخَفْضِ، والتَّنْوِينِ، ودخولِ الألف واللام، وحروفِ الخَفْضِ^(١)) وهي: مِنْ، وإلى، وَعَنْ، وعلى، وَفِي، وَرُبَّ، والبَاءُ، والكافُ، واللامُ، وحروفِ الْقَسَمِ^(٢) وهي: الواو، والباء، والتاء)

للاِسْمِ علامات يَتَمَيَّزُ عن الفعل والحرف بوجود واحدة منها أو قبولها.

ذكر المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى للاِسْمِ أَرْبَعَ علاماتٍ، وهي:

١- الْخَفْضُ: وهذا تعبير الكوفيين، ويعبر عنه البصريون بالجَرِّ، وهو في اصطلاح النحاة: عبارة عن الكسرة التي يُحْدِثُهَا الْعَامِلُ أَوْ مَا نَابَ عَنْهَا. نحو: مَرَرْتُ بِبَكْرٍ. فالكسرة في آخر كلمة «بكرٍ» تدل على أنه اسم.

٢- التَّنْوِينُ: وهو في اصطلاح النحاة: نُونٌ سَاكِنَةٌ تَلْحَقُ آخِرَ الْاِسْمِ لَفْظًا وتَفَارِقُهُ خَطًّا لغير توكيد.

نحو: قَامَ مُحَمَّدٌ. فالتنوين في آخر كلمة «محمدٌ» يدل على أنه اسم، ونحو: إِيَّاهُ، وَصَهْ، وَمُسْلِمَاتٍ، وَحَيْثُ، فهذه الكلمات كلها أسماء، بدليل وجود التنوين في آخر كل كلمة منها.

(١) سيعيد المؤلف حروف الخفض في باب مخفوضات الأسماء، وهو تكرر، كما نبه عليه بعض الشراح.

(٢) يراجع شرح الرمل ص ٤٥ مهم.

٣- دخول «أل» في أول الكلمة: نحو: «الرجل» فهي اسم، لدخول الألف واللام في أولها.

و «أل» تقسم إلى أقسام، منها الجنسية والعهدية.

فمن أقسام أل الجنسية: أن يؤتى بها لاستغراق أفراد الجنس، كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾، فكلمة «الإنسان» أل فيها للجنس، وعلامة أل الجنسية أن يصح حذفها وجعل كلمة «كل» مكانها، فهنا يصح أن يقال: كل إنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا.

وأما أل العهدية، فإن العهد إما أن يكون عهداً ذكرياً، أو ذهيناً أو حضورياً. أما أل العهدية عهداً ذكرياً، فهي التي يؤتى بها بعد مذكور تشير إليه، كقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ۝١٦﴾ فال داخله على الرسول عهدية ذكرية، وقد سبقت بقوله تعالى: «رسولاً».

وأما التي للعهد الذهني فهي التي تأتي لبيان معهود في الذهن، ولم يسبق له ذكر، لكنه معهود عند المخاطب والمتكلم، فبمجرد ذكره لا يتبادر إلى الذهن سواه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَلْمُوسَىٰ ۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢﴾ فالوادي لم يسبق له ذكر، ولكنه معهود بين المتكلم وهو الله جل وعلا وموسى عليه الصلاة والسلام، وكما يقال: جاء المدير. فلا يتبادر إلى الذهن إلا مدير هذه الدائرة المعهودة بين المتكلم والمخاطب.

وأما أل العهدية الحضورية، فهي التي يكون ما تدخل عليه حاضراً، كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فال في اليوم حضورية، يراد بها اليوم

الحاضر الذي قيلت فيه، ومن أمثلتها: هؤلاء الرجال مجتهدون. أي الرجال الحاضرون.

٤- دخول حرفٍ من حروف الخفض: نحو: ذهبْتُ من البيت إلى المدرسة. فكلٌّ من «البيت» و «المدرسة» اسم؛ لدخول حرف الخفض عليهما، ولوجود «أل» في أولهما.

وحروف الخفض هي:

«مِنْ» ولها معانٍ: منها الابتداءُ، نحو: سَافَرْتُ مِنَ الرِّياضِ، والتبعية، نحو قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، أي بعض ما تحبونه.

«إِلَى» من معانيها انتهاء الغاية مكانية أو زمانية، نحو: قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾، وهذا شاهد انتهاء الغاية المكانية، ونحو: قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (١٤٣) لَلَيْثِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٤٤)، وهذا شاهد انتهاء الغاية الزمانية.

«عَنْ» ومن معانيها المجاوزة، نحو: قوله تعالى: ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكُرٍ﴾ (٦)، ونحو: رَمَيْتُ السَّهْمَ عَنِ الْقَوْسِ.

«عَلَى» ومن معانيها الاستعلاءُ، نحو: قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (٢٢)، ونحو: صَعِدْتُ عَلَى الْجَبَلِ.

«فِي» ومن معانيها الظرفية الزمانية والمكانية، نحو: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾، وهذا شاهد للظرفية المكانية، ونحو: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ وهذا شاهد للظرفية الزمانية.

«رُبَّ» ومن معانيها التقليل، نحو: رُبَّ رَجُلٍ كَرِيمٍ قَابِلُنِي.
البَاءُ، ومن معانيها التعدية، نحو: مَرَرْتُ بِالْوَادِي. ومن معانيها الإلصاق،
نحو: أَمَسَكَتْ بِالْقَلَمِ.

«الكافُ» ومن معانيها التشبيه، نحو: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾^(١)، ونحو: العالم كالقمر.

«اللام» ومن معانيها المَلِكُ، نحو: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْتَغُوا فَلََكُمْ رُوُسُ أَمْوَالِكُمْ﴾، ونحو: المَالُ لمحمد. ومن معانيها الاختصاصُ، نحو: البابُ للدار، ومن معانيها الاستحقاقُ، نحو: الْحَمْدُ لله^(٢).

ومن حروف الخفض: حُرُوفُ الْقَسَمِ، وهي ثلاثة أحرف:

الأول: الواو، وهي لا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى الْأَسْمِ الظَّاهِرِ، نحو: والله، وقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورٍ سَيْنِينَ ۝﴾.

الثاني: الباءُ، ولا تختص بلفظ دون لفظ، بل تدخل على الاسم الظاهر،
نحو: قوله تعالى: ﴿فَالْقَوْمُ جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ وَقَالُوا بَعْزَةُ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۝﴾، فأقسموا بعزة فرعون، وتدخل على الضمير، نحو: بَكَ لَا ضَرِبَنَّ الْكَسُولَ.

(١) قال ابن كثير في التفسير ٤٩٨/٧: (وَقَوْلِهِ: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ أَي: تَذُوبٌ كَمَا يَذُوبُ الدَّرْدِيُّ وَالْفِضَّةُ فِي السَّبَكِ، وَتَتَلَوَّنُ كَمَا تَتَلَوَّنُ الْأَصْبَاغُ الَّتِي يُذْهَنُ بِهَا، فَتَارَةً حُمْرَاءَ وَصَفْرَاءَ وَزُرْقَاءَ وَخَضْرَاءَ، وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ وَهَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْعَظِيمِ).

(٢) وضابط لام الملك: أن تقع بين ذاتين، وتدخل على من يُتصور منه الملك، وضابط لام الاختصاص: أن تقع بين ذاتين، وتدخل على ما لا يُتصور منه الملك كالمسجد والدار، ولام الاستحقاق: هي التي تقع بين اسم ذات كلفظ الجلالة واسم معنى الحمد.

والثالث: التاء، ولا تدخل إلا على لفظ الجلالة نحو: قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدِيرِينَ﴾ ﴿٥٧﴾.

(والفعل يُعرفُ بقَد، والسَّين، وسَوَف، وتاءِ التَّأنيث الساكنة)

يتميز الفعلُ عن الاسمِ والحرفِ بأربعِ علاماتٍ، متى وَجَدَتْ فيه واحدةٌ منها، أو رأيتَ أنه يقبلها عَرَفْتَ أَنَّهُ فعلٌ:

الأولى: «قد» وتدخل على نوعين من الفعل، وهما: الماضي، والمضارع.

فإذا دخلت على الفعل الماضي دَلَّتْ على أحدِ مَعْنَيْنِ: وهما التحقيق والتقريب، فمثالُ دلالتها على التحقيق قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ وقوله جل شأنه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢﴾، مثالُ دلالتها على التقريب قولُ مُقيم الصلاة: قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ. وقولك: قَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ. إذا كنتَ قلتَ ذلك قُبيل غروب الشمس، أما إذا قلتَ ذلك بعد الغروب فهي تدل على التحقيق.

وإذا دخلت على الفعل المضارع دَلَّتْ على أحدِ مَعْنَيْنِ أيضاً، وهما: التقليل، والتكثير، فأما دلالتها على التقليل، فنحو: قَدْ يَصْدُقُ الكَذُوبُ. وأما دلالتها على التكثير فنحو: قَدْ يَفْعَلُ التَّقِيُّ الخَيْرَ. وقول الشاعر:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

الثانية والثالثة: السين وسوف: فيدخلان على الفعل المضارع وَحْدَهُ، وهما يدلان على التنفيس، ومعناه الاستقبال، إلا أنَّ السين أَقْلُ استقبالاً من سوف.

ومن أمثلة السين قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿٣﴾، وأما سوف فنحو قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ﴿٤﴾.

الرابعة: تاء التأنيث الساكنة، فتدخل على الفعل الماضي دون غيره؛ والغرض منها الدلالة على أن الاسم الذي أسند هذا الفعل إليه مؤنث؛ سواء أكان فاعلاً، نحو: قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ. أم كان نائب فاعل، نحو: فُرِشَتْ دَارُنَا بِالْبُسْطِ.

والمراد أنها ساكنة في أصل وَضْعُهَا، فلا يضر تحريكها لعارض التخلص من التقاء الساكنين في نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّهِنَّ﴾، وقوله سبحانه: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

ومما تقدم يتبين أن علامات الفعل التي ذكرها المؤلف على ثلاثة أقسام:

١- قسم يختص بالدخول على الماضي، وهو تاء التأنيث الساكنة.

٢- قسم يختص بالدخول على المضارع، وهو السين وسوف.

٣- قسم يشترك بينهما، وهو قد.

وقد ترك المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى علامة فعل الأمر، وهي دلالة على الطلب، مع قبول ياء المخاطبة، أو نون التوكيد، نحو: «قُمْ» و«اقْعُدْ» و«اكْتُبْ» و«انْظُرْ» فإن هذه الكلمات الأربع دالة على طلب حصول القيام والقعود والكتابة والنظر، مع قبولها ياء المخاطبة في نحو: قُومِي، واقْعُدِي. أو مع قبولها نون التوكيد في نحو: اكْتُبَنَّ، وانْظُرَنَّ إلى مَا يَنْفَعُكَ.

(والحرف ما لا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل)

يتميز الحرف عن الاسم والفعل بأنه لا يصح دخول علامة من علامات الأسماء المتقدمة ولا غيرها عليه، كما لا يصح دخول علامة من علامات الأفعال التي سبق بيانها ولا غيرها عليه، ومن أمثله: «مِنْ» و«هَلْ» و«لَمْ»

هذه الكلمات الثلاثة حروفٌ، لأنها لا تقبل «أل» ولا التنوين، ولا يجوز دخول حروف الخفض عليها، فلا يصح أن تقول: المِنْ، لا أن تقول: مِنْ، ولا أن تقول: إلى مِنْ، وكذلك بقية الحروف، وأيضاً لا يصح أن تدخل عليها السين، ولا «سوف» ولا تاء التانيث الساكنة، ولا «قد» ولا غيرها مما هو علاماتٌ علي أن الكلمة فعلٌ.

والحمد لله رب العالمين

